

سيد الشهداء عليه السلام عقيدة غير قابلة للنقاش

<"xml encoding="UTF-8?>



هامت عالیة امتلأت عزاً وإباءً وهي في أصلاب الرجال وأرحام النساء كانت تفیض بحسن الطباع وكمال الصفات وكل ما قيل وما سيقال لم ولن يصل إلى كنه معرفتها.

ومن هذه الهمات الباسقات هامة رفعت على أنسنة الرماح بأيدي أقل ما يقال عنها إنها أنتن يد على وجه البسيطة منذ خلق الكون إلى قيام الساعة.

وللأسف - ونقولها بمراارة - يعتصر القلب اعتصاراً أن تستلم تلك الرماح أيادٍ قذرة لتصبح شر خلف لأفسد سلف، فما كان منها إلا أن رفعت راية أقلامها المأجورة من الشيطان وأتباعه ليحاولوا بكل ما أوتوا من قوة أن يشككوا أو توهموا أن بإمكانهم الإشكال على أروع وأصدق صفة كتبت في سجل التاريخ تلك صفحة الإباء صفحة عاشوراء الخير.

وقد تستغرب كيف هي صفحة الخير وقد جندل ابن خير من مشى على البسيطة!!

ليأتي الجواب مسرعاً أنه لو لا تلك الصرخة التي أطلقها الإمام الحسين عليه السلام ضد الظلم (صرخة العصر) لما بقي دين الله ولما بقي ذكر محمد وآل محمد عليهم السلام.

لا شك أن الثمن غالٍ جداً ولا يمكن لأحد أن يسدّه أو يرد جزءاً من ذلك، لكن نتاج تلك الملحة الشريفة كان يستحق التضحية، وأن تلك النتاج والعائد هو أوسع وأكبر من أن أسرده في هذه السطور البسيطة.

فأعود وأقول إن بعضًا من ارتضوا لأنفسهم أن يرتموا بآحضان الشيطان وسخروا أبواقهم (إن كانت أقلاماً أو أفواهاً) أرادوا جاهدين أن يفرغوا هذه الصفحة العظيمة (القيام الحسيني) من أهدافها الرئيسية وجواهرها

الأصلـي إلـى نـزاع من اـجل مـصالح دـنيوية خـاصـة بـين الحـسـين عـلـيـه السـلام وـبـنـي أـمـيـة.

بـادـئ ذـي بدـء يـجـب الإـقـرـار أـنـّ أـيـّ فـعـل يـقـدـم عـلـيـه المـعـصـومـون صـلـوـات اللـه وـسـلـامـه عـلـيـهـم أـجـمـعـين هـو لـيـس مـتـعـلـقاً أـو مـرـتـبـطاً بـمـسـأـلة شـخـصـية أـو مـنـفـعـة خـاصـة بـهـم وـإـنـما هـو يـهـدـف لـمـصـلـحة عـامـة الـمـسـلـمـين أـو رـسـالـة تـوجـيهـيـة لـتـنـقـل لـسـائـر النـاس وـعـلـى مـرـضـيـة العـصـور وـالـمـعـصـومـون مـسـدـدـ من قـبـل الـبـارـي فـعـلـاً وـقـوـلـاً، وـمـن هـذـا المـنـطـلـق إـنـّ يـوـم عـاشـورـاء ثـوـرـة قـام بـهـا الإـمـام الحـسـين عـلـيـه السـلام؛ ليـحـافـظ عـلـى الدـيـن الإـسـلـامـي وـليـحـمـي كـرـامـة الإـنـسـان وـيـجـعـلـه يـعـيـشـ في ظـلـ مجـتمـعـ نـظـيفـ صـحـيـفـ أـرـادـ آـلـ أـمـيـة وـأـذـنـابـهـم وـأـتـبـاعـهـمـ من بـعـدـهـمـ أـنـ يـطـمـسـوا أـيـّ مـعـلـمـ من مـعـالـمـ الشـرـيـعـةـ الإـلـهـيـةـ التـيـ جاءـتـ عـلـى يـدـ الرـسـلـ وـالـأـنـبـيـاءـ لـتـخـتـمـ بـسـيـدـ الـأـنـبـيـاءـ وـالـمـرـسـلـيـنـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ.

لـمـا لـمـ يـعـمـلـ الحـسـينـ عـلـيـهـ السـلامـ بـالتـقـيـةـ؟

سـؤـالـ هو لـيـسـ بـالـجـدـيدـ وـلـكـنـهـ يـطـرـحـ بـوـجـهـيـنـ:

الـوـجـهـ الـأـوـلـ يـهـدـفـ إـلـى التـشـكـيكـ بـشـخـصـيـةـ الإـمـامـ وـالـنـيـلـ منـ قـيـمةـ ثـورـتـهـ الـعـظـمـيـ وـإـنـهـ -وـحـاشـاهـ -ـ كـانـ مـخـطـئـاًـ مـتـسـرـعاًـ بـخـروـجـهـ وـإـنـهـ لـمـ يـعـمـلـ بـالتـقـيـةـ.

الـوـجـهـ الثـانـيـ

يـحـاـولـ مـعـرـفـةـ أـهـدـافـ وـنـوـاـيـاـ الإـمـامـ عـلـيـهـ السـلامـ بـهـذـاـ الـخـرـوجـ الـثـورـيـ وـهـوـ مـتـيقـنـ أـنـ الإـمـامـ عـلـىـ صـوـابـ بـخـروـجـهـ وـلـكـنـ لـمـ يـتـبـادرـ إـلـىـ ذـهـنـهـ أـنـ لـمـ يـعـمـلـ بـالتـقـيـةـ فـيـ هـذـاـ المـوـرـدـ؟

إـنـ مـبـدـأـ التـقـيـةـ ثـابـتـ بـالـقـرـآنـ مـنـ الـآـيـةـ الـكـرـيمـةـ: {لـا يـتـخـذـ الـمـؤـمـنـوـنـ الـكـافـرـيـنـ أـوـلـيـاءـ مـنـ دـوـنـ الـمـؤـمـنـيـنـ وـمـنـ يـفـعـلـ ذـلـكـ فـلـيـسـ مـنـ اللـهـ فـيـ شـيـءـ إـلـاـ أـنـ تـتـقـنـوـاـ مـنـهـمـ تـقـاـةـ وـيـحـذـرـكـمـ اللـهـ نـفـسـهـ وـإـلـىـ اللـهـ الـمـصـبـرـ}. [آل عمران: ٢٨]

وـذـكـرـتـ التـقـيـةـ فـيـ سـنـةـ آـلـ الـبـيـتـ الـتـيـ هيـ سـنـةـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ حـيـنـماـ قـالـ صـادـقـ آـلـ الـبـيـتـ عـلـيـهـمـ السـلامـ: «مـنـ تـرـكـ التـقـيـةـ قـبـلـ خـرـوجـ قـائـمـاًـ فـلـيـسـ مـنـاـ». (إـثـبـاتـ الـهـدـاـةـ بـالـنـصـوـصـ وـالـمـعـجـزـاتـ: ٥/١٩٣)

وـفـيـ روـاـيـةـ أـخـرىـ قـالـ عـلـيـهـ السـلامـ: «إـنـ التـقـيـةـ دـيـنـيـ وـدـيـنـ آـبـائـيـ وـلـاـ دـيـنـ لـمـنـ لـاـ تـقـيـةـ لـهـ». (المـحـاـسـنـ لـلـبـرـقـيـ: ١/٢٥٥)

فـمـنـ الـمـعـلـومـ إـنـ الحـسـينـ عـلـيـهـ السـلامـ عـمـلـ بـالتـقـيـةـ وـلـمـ يـتـرـكـهاـ حـالـ باـقـيـ الـأـئـمـةـ عـلـيـهـمـ السـلامـ، وـلـقـدـ تـنـاـولـ الـعـلـمـاءـ هـذـهـ الـقـضـيـةـ (خـرـوجـ الحـسـينـ مـنـ مـكـةـ إـلـىـ كـرـبـلـاءـ) بـعـدـ إـجـابـاتـ مـنـهـاـ اـنـتـفـاءـ مـورـدـ التـقـيـةـ عـلـيـهـ كـوـنـ الـخـضـوعـ لـأـمـرـ يـزـيدـ وـبـيـعـتـهـ فـيـهـ خـطـرـ كـبـيرـ عـلـىـ بـيـضـةـ الـإـسـلـامـ.

وـبـاستـقـراءـ الإـمـامـ عـلـيـهـ السـلامـ لـلـسـاحـةـ وـالـأـحـدـاثـ الدـائـرـةـ مـنـ حـوـلـهـ وـبـحـنـكـتـهـ السـيـاسـيـةـ وـخـبـرـتـهـ، وـبـغـضـ النـظـرـ عـنـ الـعـلـمـ الإـلـهـيـ بـالـمـغـيـبـاتـ آـنـ ذـاكـ عـرـفـ أـنـهـ مـقـتـولـ لـاـ مـحـالـةـ، وـعـلـمـ أـنـهـ مـيـتـ بـمـكـةـ أـوـ بـغـيـرـهـ مـنـ الـمـدنـ الـأـخـرىـ، كـمـاـ وـرـدـ عـنـهـ عـلـيـهـ السـلامـ قـوـلـهـ: (وـأـيـمـ اللـهـ لـوـ كـنـتـ فـيـ جـحـرـ هـامـةـ مـنـ الـهـوـامـ لـاـسـتـخـرـجـوـنـيـ حـتـىـ يـقـضـوـاـ فـيـ حـاجـتـهـمـ وـالـلـهـ لـيـعـتـدـنـ عـلـيـهـ كـمـاـ اـعـتـدـتـ الـيـهـودـ فـيـ السـبـتـ).

بـلـ إـنـهـ رـفـضـ بـيـعـةـ يـزـيدـ مـنـ قـبـلـ وـالـيـ المـدـنـيـةـ قـبـلـ أـنـ تـصـلـهـ كـتـبـ أـهـلـ الـكـوـفـةـ، وـأـرـادـ بـنـوـ أـمـيـةـ قـتـلـهـ وـلـوـ كـانـ مـتـعـلـقاًـ

بأستار الكعبة قبل أن تصله كتب أهل الكوفة.

مجلة الوارث - العدد 102 فمسألة قتل الحسين (عليه السلام) أمر غير مرتبط بخروجه وعدمه فهم يريدون منه البيعة وإلا فالقتل ولما كان الحسين مصرًا على عدم البيعة فمعناه أنه يقتل في أي أرض كان.

ولما كان الإمام أعلم زمانه بالحال الذي وصل إليه المجتمع، فاختار الإمام الأصلاح لدينه ولمجتمعه ولإتمام الرسالة المحمدية وللحفاظ على قوام الإسلام بالشهادة ضد الظلم والانحراف.

وقد ورد في كتب السيرة والتاريخ أن كبار الصحابة قد عملوا بالأمررين معًا أي العمل بالتقية ورخصتها، فعمار بن ياسر رضوان الله عليه عندما تعرض لأبشع أنواع الحقد الأموي القرشي واستشهد أبوه وأمه أمامه ذكر آلية الكفار بخير ولكن ذلك الذكر كان بلسانه لا بقلبه وأكدت الروايات فيما بعد على أن الرسول صلى الله عليه وآله لم يعاتبه على ذلك بل أثنى عليه.

بالمقابل نرى قصة حجر بن عدي رضوان الله عليه المعروفة وكيف أن معاوية لعنه الله أراد من حجر أن يذكر الإمام عليًّا عليه السلام بسوء فلم يذكره ولا نعرف الظروف المحيطة بحجر آنذاك، هل أنه رأى الطريق مسدودًا ولا مجال إلا المواجهة مع السلطة أم لا؟

وكذلك ما ذكر عن أبي ذر الغفارى صاحب أصدق لهجة على الغبراء لم يترك الحديث بالسياسة وانتقاده لسياسة عثمان بن عفان وتقريره آل أمية وتصرفه في بيته المال وعاب عليه اغتصاب الخلافة من أهله مما خير بين ترك الحديث وبين النفي، فاختار النفي والموت غريباً وهو حبيب رسول الله صلى الله عليه وآله ولو كان اختار العمل بالتقية لما عيب عليه ذلك ولا كان عليه إشكال شرعى، وغيرها الكثير من الأمثلة في هذا المجال الذي عمل فيه أهل بيت الرحمة عليهم السلام وأصحابهم رضوان الله عليهم أجمعين.

إن صفة الإباء (واقعة الطف) ما هي إلا تتمة لحروب الرسول صلى الله عليه وآله ضد الكفر والظلم وهي حرب الإسلام كله ضد الكفر كله، فالإسلام متمثل بركب آل محمد صلى الله عليه وآله للحفاظ على الإسلام، والكفر كله متمثل بالجيش السفياني وحده الدفين للقضاء على الإسلام.

إذن فالحفاظ على هذا الدين هو خاتمة الأديان السماوية كان لابد من أن تسال الدماء الطاهرة ويعاد قربان إبراهيم والظاهر أن القربان الأول كان قليلاً فجاء قربان عبد الله بن عبد المطلب فقدموا له الأضحى لفك رقبة أبي سيد البشر لكن التضحية قبلت مؤقتاً لينتهي سلسل الأضحى بفداء ليس مثله لا في السماء ولا في الأرض ذلك هو كبش محمد صلى الله عليه وآله.

من أراد أن يشكك بقضية الحسين عليه السلام وخروجه يوم الطف فليراجع إسلامه... فالحسين عقيدة غير قابلة للنقاش.